اسم الدرس : تفسير سورة العصر

تصنيف الدرس : خطبة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة، فما ترك خيرًا إلا ودلنا عليه وما ترك شرًا إلا وحذرنا منه، فصلاةً وسلامًا دائمين من رب العالمين على أشرف المرسلين محمد -صلى الله عليه وسلم-.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}[آل عمران: ١٠٢] ،

أما بعد أحبتي في الله؛ من رحمة الله -عز وجل- بالخلق أن الله -عز وجل- لم يتركهم سدى بل أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب، هذا من رحمته ولطفه وكرمه ومَنِّه سبحانه وتعالى، فلم يتركنا سدىً ولم يتركنا هملًا ولكن عرَّفنا الطريق، وبيَّن لنا حتى لا يكون لأحد -بعد الرسل وبعد الكتب- حجة على الله -عز وجل-.

الله -عز وجل- بين لنا الطريق ووضح لنا وهدانا النجدين، فالإنسان يرى ويختار على بينة كما قال الله -سبحانه وتعالى-: { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[التوبة: ١١٥] ، أي؛ هو يهديهم أولًا ثم يبين لهم طريق الضلال ثانيًا ويحذرهم ويعلمهم كيف يتقون طريق الضلال ثم هم يختارون طريق الضلال -والعياذ بالله-.

فمن رحمة الله -عز وجل- أن أنزل لنا القرآن؛ لذلك لا بد أن يفرح الإنسان بالقرآن، وأن الله -عز وجل- حفظ هذا القرآن من التغيير، وأن الله -عز وجل- قيَّض رجالا لحفظ سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-. نكرر دائمًا هذا المعنى لأنه يجب أن يكون المؤمن على فرح دائمًا بهذه النعمة العظيمة.

معنا اليوم سورة من كتاب الله -عز وجل-، سورة قصيرة، عدد آياتها ثلاث آيات، لكن احتوت على معانٍ عظيمة، هذه السورة -كما قال الإمام الشافعي- لو تدبر فيها المسلمون لكفتهم، **سورة العصر**.

يقول الله - عز وجل-:

﴿وَٱلۡعَصۡرِ* إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ* إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١-٣].

عندما تفتتح هذه السورة الكريمة تفاجأ بأن الله -عز وجل- يقسم، والملك -سبحانه وتعالى- لا يحتاج إلى قسم، فإذا أقسم فإنه يقسم بعظيم أو يقسم بشيء يغفل عنه الناس حتى ينبهنا -عز وجل- إليه، فعندما تفتتح السورة تفاجأ بقسم من الملك -سبحانه وتعالى- وهو يقول: {وَٱلۡعَصۡرِ* إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ} . فما معنى كلمة {وَٱلۡعَصۡرِ} ؟

وقف العلماء عند هذه الكلمة وقفات طويلة، ولكي نفهم معنى كلمة العصر؛ لا بد أن نفهم أولًا ما سبب خسارة الإنسان؟ وكيف ينجو الإنسان؟ ثم علينا أن ننظر في السورة التي قبلها والسورة التي بعدها ليتضح لنا أهم أسباب الخسارة وكيف ينجو الإنسان من هذه الخسارة؟

- قيل في اللغة : العصر؛ هو وقت العصر؛ آخر وقت النهار، ينتهي النهار عند المغرب ثم يبدأ الليل.

- وقيل : العصر هو كل الأزمنة وكل الدهور من يوم خلق الله -عز وجل- الزمان إلى أن تقوم الساعة وخاصةً آخر الوقت، تخيل كأنك تفتح السورة فوجدت أن اليوم ينتهي والشمس تغرب والزمان ينتهي، قاربنا على النهاية، كأنك في اختبار وأنت في العشر دقائق الأخيرة من الاختبار -حيث جميع الطلبة منهمكون في حل الاختبار- تفاجأ بأن الله يقسم في آخر التوقيت حيث لم تتبقَ إلا لحظات وينتهي الابتلاء وينتهي هذا الاختبار، ثم يخبرنا الله بنتيجة حتمية قطعية لهذا الاختبار أن أغلب الناس خسروا، أغلبهم رسبوا.

فقوله -سبحانه وتعالى-: {إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ}: استغراق لجنس الإنسان؛ أي أغلب الناس خسر في الامتحان.

- قيل أن من معاني العصر: أنك تعصر شيئًا، والعصير سُمي بهذا لأنك حين تعصر الفاكهة، تضغط عليها فينزل ما فيها، ومنه عصر الثياب بأن تضغط على الثياب لتعصرها بعد الغسل فينزل ما فيها، فكأن الزمان كذلك، فلا بد أن تعصر أنت الزمان أو يعصرك الزمان، فإما أن تعصر أنت الزمان فتستخرج كل طاعة في كل لحظة، أو يقطعك الزمان ويعصرك ويمر بك وأنت لا تشعر.

هنا تستطيع أن تفهم حديث النبي –صلى الله عليه وسلم–: وَرَجُلٌ حَلَفَ على يَمِينٍ كاذِبَةٍ بَعْدَ العَصْرِ لِيَقْتَطِعَ بها مالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ ..[1] لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَان ،

يقول العلماء : أن أي يمين كاذبة –سواء بعد العصر أو قبل العصر– تعتبر جريمة وذنبًا عظيمًا، لكن تخصيص "بعد العصر" لأنه نهاية اليوم وآخر أوقات الطاعات، فهو آخر وقت الامتحان فيُفترض أن ينشغل الإنسان بالذكر وتسليم ورقة أعمال اليوم التي تُرفع إلى الله في هذا الوقت ، فإذا به ينشغل بالكذب!...لذلك الإمام ابن حجر يقول: "لأن الأعمال بالخواتيم وانشغل في الخواتيم بالكذب وبالدنيا".

تخيل أن في العشر دقائق الأخيرة من الامتحان هناك شخصٍ ما لم يقم بحل أي شيء وبدلًا من أن يحاول و يجتهد تجده يلعب ...هذا مستهزئ، بدلًا من أن يبكي ويتضرع في آخر اللحظات عَلَّ الله – عز وجل– أن يعفو عنه !!!.

وكذلك أيضًا ساعة الإجابة يوم الجمعة آخر ساعة بعد العصر قبل المغرب، آخر ساعة في اليوم، لماذا؟ لأن من المفترض أن يصل المؤمن في هذه اللحظة إلى قمة التضرع لأنه سيسلم ورقة يوم الجمعة، سيسلم ورقة الأسبوع كله وسترفع الأعمال، ويبدأ أسبوع جديد، فيدعو ويتضرع.... لعل الله يستجيب له هنا فيغفر له باقي الأسبوع.

فالعصر بمعنى أنك لا بد أن تعصر الزمان، فالزمان يمر، لذلك قال بعض السلف: "لم أفهم هذه السورة إلا حينما رأيت بائع ثلج يسير ويقول: أيها الناس ارحموا من يذوب رأس ماله–اشتروا بضاعتي قبل ان تذوب وتفنى– فلما سمعته تذكرت العصر فالزمان ينتهي، فتحسرت على نفسي والوقت يمر هكذا والزمان ينتهي".

فتخيل أنك منذ ميلادك وُضِعَت بجوارك ساعة تقوم بعدِّ اللحظات عليك، وأنا أتعجب كيف يحتفل الناس بمرور سنة من عمرهم، المفترض أن يجلس بعد هذه السنة ويبحث فيما مضى لأنه اقترب من القبر، من نهاية وقت الاختبار.

---

[1] [عن أبي هريرة:] ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَومَ القِيامَةِ ولا يَنْظُرُ إليهِم: رَجُلٌ حَلَفَ على سِلْعَةٍ لَقَدْ أعْطى بها أكْثَرَ ممّا أعْطى وهو كاذِبٌ، ورَجُلٌ حَلَفَ على يَمِينٍ كاذِبَةٍ بَعْدَ العَصْرِ لِيَقْتَطِعَ بها مالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، ورَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ ماءٍ فيَقولُ اللَّهُ يَومَ القِيامَةِ: اليومَ أمْنَعُكَ فَضْلِي كما مَنَعْتَ فَضْلَ ما لَمْ تَعْمَلْ يَداكَ.
البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٧٤٤٦ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٧٤٤٦) واللفظ له، ومسلم (١٠٨)

وانتبه؛ الله –سبحانه وتعالى– يقول: {وَالْعَصْرِ} أي بعد مرور كل هذه الأزمنة ، أو {وَالْعَصْرِ} على مر الدهور ، أو {وَالْعَصْرِ} بعد أن قارب وقت انتهاء الامتحان ..

يقول الله : إنه لم ينجح أحد {إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ} ..

والعجيب أن الإنسان يفرح بمرور هذه السنين ولا يحاسب نفسه!

يقسم الله أنه على مدار الأزمنة، على مدار الدهور والوقت ينتهي؛ أن أغلب الناس في خسران {إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ} ، وهنا تكمن خطورة الزمان!

لذلك كان شعار بعض السلف عندما يقول له أحد: "أريد أن أسألك، أريد أن أتحدث معك"، يقول له: "أوقف الشمس" الزمان يمر، أوقف الشمس كي أستطيع أن أتحدث معك؛ فإن لم توقفها انطلَقْت، كانوا يحرصون على الوقت.

ورُوِيَ أن الصحابة بعد انتهاء مجلسهم وهم يغادرون يوصي بعضهم بعضًا بسورة العصر، **يُذكِّرون بعضهم بقيمة الزمان**. ماذا ستفعل بعد أن تنتهي من المجلس؟ ستعصر وقتك عصرًا؟ ستستخرج ما فيه من الأعمال؟

لذلك الذي ينجو في السورة {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} ليس "وعملوا صالحًا"، بل **عملوا كل الصالحات التي يقدرون عليها**؛

لذلك يقول ابن عباس في تفسير قوله الله –عز وجل–: {إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا}[مريم: ٨٤] بماذا يُعَدُّ عمرك؟ قال بالنفس! فعمرك محسوب بعدد الأنفاس، فتأخذ شهيقًا ولا تستطيع أن تخرج الزفير فتموت، **فالعمر غير محسوب بالسنين ولا بالأيام بل بمجرد النفس**، {إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا} كل إنسان معدود له عدد الأنفاس التي سيأخذها من الهواء إلى أن يموت! الأمر محسوب.

{إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ} يؤكد الله –عز وجل– بالتأكيد (إنَّ) و(اللام) {لَفِي خُسْرٍ}، ولم يقل: إن الإنسان خسران بل قال: {إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ} ، فالخسارة تحيط به من جميع الجوانب، كأن الإنسان وقع في وعاء خُسر! {إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ} ، خسارة تحيط بك، بمعنى أن كل من حولك يساعدك على الخسارة، أغلب من حولك بل أقرب الناس لك للأسف قد يكون له دور في خسارتك،

{إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ} محاط بالخسارة؛ لذلك فالسورة التي قبل سورة العصر –سورة التكاثر–، قال تعالى: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}[التكاثر:١،٢] ، والسورة التي بعدها سورة الهمزة يقول الله تعالى: {وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ}[الهمزة:١-٣] ، فهي سورة بين سورتين، فالسورة التي قبل سورة العصر والسورة التي بعدها تعرفك أهم أسباب الخسارة، وذكرت سببين:

السبب الأول: الانشغال بالناس، {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} التكاثر بمعنى يريد أن يُكاثر الناس، التكاثر يكون بين اثنين، فكأنه يريد أن يقول للذي أمامه {أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا}[الكهف: ٣٤] ، هذا هو كل هدفه في الحياة، هذا هو كل الذي يشغله، يريد أن يكون أفضل من هذا ولديه سيارة أفضل من هذا وهاتف أفضل من هذا ويريد أن يكون أكثر الناس مالاً وولدًا.

كثير من الناس يكون راضيًا فإذا وجد جاره أو صديقه لديه أكثر منه ينزعج، ألم تكن راضيًا؟! فيُكاثِرُه {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}.

وسورة الهمزة التي بعد سورة العصر: مشغول بالناس يستهزئ بهم، جالس يستهزئ بالناس ويسخر منهم، **فانشغل بهم مُكاثرًا يريد أن يكون أكثر منهم وانشغل بهم مستهزئًا**.

فالسبب الأول للخسارة؛ أن تكون مشغولا بالناس سواء استهزاء أو مكاثرة.

السبب الثاني: جمع الدنيا {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} يظل يجمع، والآخر {الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ}[الهمزة:٢] .

أهم سببين للخسارة الانشغال بالناس وجمع الدنيا ولا يشبع، لدرجة أنه وصل لمرحلة في سورة الهمزة {يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ}[الهمزة:٣] معتقد أن الأموال ستجعله يخلد! معتقد أن جمع الدنيا لن يجعله يموت! فيجمع أكثر ليعيش أكثر! فكلما يجمع مالًا أكثر يظن أنه يعيش أكثر.

سورة التكاثر تقول له ستُسأل على كل شيء جمعته {لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}[التكاثر: ٨] ، **وسورة الهمزة** قالت بعد أن تُسأل عن النعيم سترمَى في الحطمة {لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ}[الهمزة:٤] ، الحطمة التي ستكسره؛ ستحطمه، لذلك {وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ} الهمزة واللمزة؛ أي الذي يستهزأ بالناس ويكسر

نفوسهم، ويكسر مشاعرهم ويجرحهم؛ فسيُكسَر في جهنم –والعياذ بالله–، مثلما كان يحطم الناس ويستهزئ بهم سيُلقى في الحطمة –والعياذ بالله–.

ما بين السورتين الله يقول لك أن هناك نموذجا منشغلًا بالناس أيضًا لكنه ينجو! كيف؟ بأن تنشغِل بمناصحتهم {وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}، فأنت لا بد أن تعيش بين الناس لن تستطيع أن تتركهم وتمضي.

يقول الله {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ}[التغابن:١٤] ، بمعنى أنه قد يكون سبب خساراتك زوجتك وأولادك، **فإن لم تبدأ لهم بالنصيحة بدأوا هم معك بالخسارة، كذلك الناس فإن لم تكن أنت المُغَيِّر فهم سيغيرونك.**

والعصر؛ أي لا بد أن تعصر الزمان، الوقت ينتهي، يقال إن وقت العصر سُمي عصرًا لأن اليوم يُعصَر وينتهي ولم يتبقَ منه إلا القليل، فآخر وقت موجود في اليوم هو **عصارة اليوم** بعد أن ينتهي اليوم ويصل إلى آخر ما فيه؛ لذا لا بد من استشعار قرب النهاية وانتهاء وقت الامتحان.

{إِنَّ ٱلإِنسَٰنَ لَفِي خُسرٍ} لم ينجح أحد، {إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ} ، دائمًا الاستثناء عندما يأتي لا بد أن تعرف أن العدد قليل، فمثلًا فصل به مائة طالب فالكل منتظر النتيجة ثم يأتي المدير ويقول النتيجة" لم ينجح أحد"؛ فالكل يبكي، والمدير يقول لم ينجح أحد إلا... فإذا قال "إلا" متوقع أنه لن يقول " لم ينجح أحد إلا تسعين طالبًا" عندها كان سيقول "الجميع نجح إلا عشرة"؛ لأن دائمًا المستثنَى يكون قليلا.

ينجو واحد من كل ألف ويسقط تسعمائة وتسعة وتسعون [٩٩٩] في جهنم، نسبة مرعبة! تخيل عندما يقول الله: {إِنَّ ٱلإِنسَٰنَ لَفِي خُسرٍ} فالكل يبكي {إِلَّا} مَن يا رب كي أكون منهم وأنجو؟ يقول: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} .

هيا لنرى أسباب النجاة في السورة؛ فأسباب النجاة في السور **التي قبلها ألا تنشغل بالناس مستكثرًا ولا مستهزئًا، فلا تنشغل أن تكاثر الناس ولا تنشغل أن تستهزئ بالناس. ودائمًا السبب الأول يؤدي إلى الثاني، فمن ينشغل بالناس ويريد أن يكون أكثر منهم بعد أن يكون أفضل منهم يستهزئ بهم لأنه أصبح لديه قوة عليهم فيستهزئ بهم.**

لذلك من أول المعاصي التي وقعت من بني آدم {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ}[المائدة: ٢٧] فقد كان مشغولا بأخيه، وفي بعض الروايات كما ذكر الإمام الطبري قال: تسير بين الناس يقولون تُقُبِّل منك ولم يُتَقبل مني والله لأقتلنك... ماذا تريد أن يقول الناس عليَّ؟ أنا سأقتلك حتى لا يكون هناك أحد صالح، ومثل ذلك: {أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ}[الأعراف: ٨٢] حتى لا ينتقصنا الناس بأن هناك أناس نظيفة متواجدة معنا!... ومثل: {اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا}[يوسف: ٩] فهم غير قادرين على أن يفعلوا مثلما يفعل يوسف من البر، إذًا {اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ }[يوسف: ٩].

الانشغال بالناس قد يؤدي إلى القتل. تريد أن تكاثر الناس، فالغل والحسد عندما يسيطر على إنسان لا يرى شيئًا في الدنيا إلا أن يكاثر هذا الشخص، وبعد أن يكاثر هذا الشخص يهمز به ويلمز به؛ الهمزة اللمزة، هذه هي أسباب الخسارة.

أما **أسباب النجاة في سورة العصر:**

استغلال كل لحظة في حياتك؛ لذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (نِعْمَتانِ مَغْبُونٌ فِيهِما كَثِيرٌ مِنَ النّاسِ: الصِّحَّةُ والفَراغُ)[٢] .

ما معنى مغبون؟ كيف يُغبن الفرد؟ الغبن غير الخسارة ...الغبن هو الخسارة الفاحشة، فأنت تقول عندما يخسر الإنسان خسارة فادحة نقول غُبِن في البيعة، مثال إذا باع الفرد سيارة كان سعرها مائتا ألف وباعها بمئة وسبعون ألفًا نقول خسر في البيع، أما إذا باعها بعشرة آلاف نقول غُبِن في البيعة؛ **فالغبن : الخسارة الفاحشة.**

لذلك هناك في الفقه "خيار الغبن" ومعناه أنه إذا باع البائع وليس لديه الخبرة في البيع وخسر خسارة فاحشة نُعيد إليه سلعته لأنه يكون سفيهًا، ومن المفترض أن يُحجَر عليه، فمن باع بغبن يكون سفيهًا، لذلك عندما أصيب أحد الصحابة في رأسه وأصابته لوثة بمعنى أنه أصابه شيء في عقله وكان يحب البيع

[٢] [عن عبدالله بن عباس:] نِعْمَتانِ مَغْبُونٌ فِيهِما كَثِيرٌ مِنَ النّاسِ: الصِّحَّةُ والفَراغُ.
البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٦٤١٢ • [صحيح]

فكان يذهب ليبيع فكان الناس يظلمونه فحجر عليه أهله، فاشتكى إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال النبي له اشترط أثناء البيع بأن يقول : (لا خِلَابَةَ ، وأنتَ بالخيارِ ثلاثًا)[٣] .

لاخلابة: بمعنى لا أحد يستغلني، وقد أخذت إذن من النبي -صلى الله عليه وسلم- أراجع أهلي ولي خيار لمدة ثلاثة أيام.

والنبي يقصد بهذا الحديث- نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس... -أن كثير من الناس معهم نِعم ويبيعونها بالغبن، قيل: ما هي يا رسول الله؟ قال: (الصحة والفراغ) ؛ معهم وقت واستطاعة، فمثلا أتى الليل وأنت لديك وقت واستطاعة لتصلي قيام ليل ولم تصلِ فأنت غُبنت فالمفترض يُحجر عليك، فالأوقات التي تذهب بدون ذكر فالإنسان فيها مغبون كالأوقات التي تمر ومن الممكن أن تخدم فيها الناس أو أن تفعل أعمالا صالحة كأن تصلي أو تنفع العالمين، وأنت لا تفعل شيئًا، لذلك عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: "لا أحب أن يجلس الرجل سبهللة؛ لا في أمر دين ولا في أمر دنيا" ، وكان عمر بن الخطاب يعجبه الرجل- يشعر أنه رجل -فيتتبعه فإذا علم أنه لا في أمر دين ولا في أمر دنيا وقع من عينه. هذا لا يصلح لشيء، لن استعمله.

لذلك يقول الله -عز وجل-: {فَإِذَا فَرَغْتَ} أي بمجرد وصولك لمرحلة الفراغ أيًّا كان الفراغ؛ بعد جهاد، أو بعد صلاة، أو بعد طاعة، أو بعد عمل دنيوي، أو بعد الدعوة إلى الله فلا يصح أن يمكث المسلم في فترة الفراغ طويلا؛ لذلك قال تعالى: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ}[الشرح: ٧] ولم يقل: "ثم انصب" {فَانصَبْ} مباشرةً ولم يقل: "فإذا فرغت فسم الله و فكر في عمل جديد"، بل{فَانصَبْ} ، اجتهد مباشرةً ولا تنتظر وتقول ماذا أفعل!!!

لذلك كان هناك طالبا في الجامعة متفوقا ترتيبه الأول على دفعته، وأراد أستاذه أن يُظهِر سبب تفوقه- لان الاستاذ كابد كيف يكون النجاح والتفوق- فسأله أمام زملائه: أخبرني يا بنى ماذا تفعل يوم الثلاثاء بعد العصر؟ فقال: كذا وكذا، قال له: وماذا تفعل يوم الخميس بعد المغرب؟ فقال: كذا وكذا، فقال: وماذا تفعل يوم الجمعة بعد العشاء؟ فقال: كذا وكذا، فعقب الأستاذ وقال: من أجل هذا هو الأول

[٣] [عن نافع مولى ابن عمر:] عن ابنِ عمرَ قالَ: إنَّ منقذًا سقعَ في رأسِهِ مأمومةً في الجاهليَّةِ فجبلت لسانَهُ، فكانَ يخدعُ في البيعِ، فقالَ لَهُ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: بع وقل لا خلابة، ثمَّ أنتَ بالخيارِ ثلاثًا من بيعِكَ، قالَ ابنُ عمرَ: فسمعتُه يقولُ إذا بايعَ لا خذابةَ لا خذابةَ
ابن حزم (٤٥٦ هـ)، المحلى ٢٩٥/٨ • في غاية الصحة

على دفعته فليس عنده وقت فراغ، هو يعلم جيدًا ماذا سيفعل في وقته، وقرر مسبقًا ماذا سيفعل في وقته، **فكذلك الأوائل يوم القيامة ليس لديهم وقت ضائع ليس لديهم وقت فراغ.**

{فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ} اجعل هذا النصب طلبًا لرضا الله، حتى ولو كان عملًا دنيويًا، أحسن فيه وأتقن فيه وتقرب به إلى الله، {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب}[الشرح:٧،٨]

اجعل كل رغبتك الداخلية وكل مشاعرك تتجه لرضا الله –عز وجل–، المؤمن لا يمكث في هذه الفترة طويلا، إذا أصيب بها يفزع بسرعة ، كيف يجلس دون عمل ودون أن يشغل وقته (نعمتان مغبون)! أريدك أن تتخيل مشهد من يملك سيارة بمائتي ألف ويبيعها بخمسة آلاف، **هذا هو الإنسان الذى يملك وقتًا وصحة ولا يصنع فيهما شيئًا، بل يُضيع وقته، هذا هو المغبون الذي يجب الحجر عليه فهو ينفق هذه الأثمان الغالية التي سيتحسر عليها يوم القيامة، سيتحسر على كل لحظة.**

ومن عجيب فقه الأئمة؛ سئل الإمام ابن المبارك: في مسألة من دخل ليصلي الجماعة ووجد الإمام ساجدًا هل يسجد أم ينتظر أن يقوم الإمام؟ وهذه المسألة محل خلاف بين الفقهاء، فقال ابن المبارك: "فليسجد وما يدريه لعل أن يغفر له بهذه السجدة!"، وما يدريه لعلها آخر سجدة!

وعندما كانت تمر الجنازة كان ابن عمر يبكي ويقول: "كم فرطنا من قراريط"!!!...كم جنازة من مرت ولم نتبعها لنؤجر!

فهذا كان شعور السلف والصحابة عندما يمر عليهم وقت فراغ، كل جنازة مرت عليه ولم يشهدها كان يشعر أنه ضيعها، هو يعتصر أن الوقت يمر بلا عمل!

قال ابن الجوزي: "تمنيت أن كل نَفَسٍ لي خِزانة أضع فيها الحسنات" فهو لا يريد أن يفعل حسنات في الساعة بل يريد أن يفعل حسنات بعدد الأنفاس.

وبعض العلماء المعاصرين كان يقسم اليوم كل ثلث ساعة يفعل فيها شيئًا – رأيت ذلك بعيني– ثلث ساعة يكون في مجلس علم ويليها ثلث ساعة أخرى في مجلس علم آخر وهكذا... أما نحن فيضيع الوقت منا ويمر دون أن نشعر! لكن مَن يعصر الوقت عصرًا يعرف قيمة كل لحظة، يراقب الشمس هل قاربت على الغروب؟ فهذا موعد الأذكار، والليل موعد القيام ،وهناك موعد لصلة الرحم، وموعد للعمل ليأكل من عمل يده، وموعد لخدمة الناس وإطعام المساكين فهذا هو المؤمن ليس لديه وقت فراغ.

{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} .نُفصِّل فيها بعد جلسة الاستراحة إن شاء الله.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده؛ محمد -صلى الله عليه وسلم-

{وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر: ١-٣]

أقسم الله -عز وجل- حتى لا يشك أحد ولا يجادل أحد على قيمة الزمان الذي يمر وانتهاء الوقت، على أن غالب الناس خاسرة، إلا من يا الله؟! {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} .

العجيب أن الله -سبحانه وتعالى- لم يقل: "إن الإنسان لفي خسر إلا الذي آمن وعمل صالحًا ووصَّى بالحق ووصَّى بالصبر"، الله سبحانه لم يقل ذلك، رغم أن السياق كان يحتمل هذا القول، لأنه قال قبلها : {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} ،لكن ماذا قال الله -عز وجل-؟ قال: {إِلَّا الَّذِينَ..}

فأول سبب للنجاة: الاجتماع، البيئة الصالحة، أهل المساجد، أهل الدين، الصحبة الصالحة، كأن الله يقول لنا أن الأصل أن الإنسان لن ينجو بمفرده، فأنت في طلب الهداية تقول: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}[الفاتحة: ٦]، إذًا أهم **أسباب الخسارة: البعد عن بيئة الإيمان، البعد عن الصحبة الصالحة**.

وكانت النصيحة الوحيدة التي أعطاها العالِم لقاتل المائة نفس أنه قال له: (اترك أرضك فإنها أرض سوء، وانطلق إلى أرض كذا وكذا فإنها بها **أناس يعبدون الله**، فاعبد الله معهم). فهو يريد أن ينقله من الخسارة إلى النجاح. قبل أن يقول له: {آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} ، قال له: { الَّذِينَ} كن مع هؤلاء، ستجد نفسك تسير في طريق الله... انتبه لقيمة الوقت؛ قاتل المائة نجا بسبب شبر واحد فقط، وخطوة الرِجل ٣ أشبار تقريبًا، فلو أنه تأخر في المشي ثلث الخطوة لدخل النار، شبر واحد كان السبب في نجاته؛ مات في منتصف الطريق، فالله أنزل الملائكة تقيس بين مكان الموت ومكان الأرض الصالحة، وبين مكان الموت ومكان الأرض الفاسدة، فوجدت الملائكة أنه كان أقرب إلى الأرض الصالحة بشبر؛ فكان في الجنة.

كما يقول ابن المبارك: "أدرك ولو سجدة، أدرك ولو تسبيحة"، ليس هناك شيء اسمه: انتهى الأمر، بل لدينا قضاء، وكان النبي –صلى الله عليه وسلم– إذا فاته حزبه من قيام الليل قضاه بالنهار.

حتى لو كان شبرًا إياك أن تتأخر! فالذي يسمع الأذان عليه أن يذهب إلى المسجد في الحال حتى ولو سمع الإقامة، أو حتى لو صلى في المسجد بعد الجماعة...ليعوِّد نفسه على ذلك.

كثير من الناس مقاييسهم مختلفة؛ ولذلك مَن يمشي وراء تقييمات الناس سيضيع؛ لذلك يقول أحد السلف: "فاتتني تكبيرة الإحرام فعزَّاني واحد، ولو مات لي ولد لعزَّاني مائة ألف" –هو يستنكر– كيف تفوتني تكبيرة الإحرام ويعزيني شخص واحد فقط! كيف! مع أني مشهور ولو أن ابني مات سيعزيني فيه مائة ألف شخص! فمن الممكن أن يغيّر الناس طريقة تفكيرك في الحياة.

لذلك لا بد أن تذهب لبيئة صالحة تساعدك في البحث عما ينفعك، ولا تضيع وقتك. إذا نخرج من سورة العصر بـ ....

أولًا: حتى لا تخسر؛ استغل كل لحظة في حياتك.

ثانيًا: {الَّذِينَ} اللحاق بالبيئة الصالحة، وبالتالي البعد عن البيئة الفاسدة.

كلما حاولت النجاة وأنت في البيئة الفاسدة، فأنت كمن يريد أن يغتسل وهو في المستنقع؛ كلما يتطهر كلما يصيب ثيابه النجس، فلا بد أن تترك البيئة الفاسدة وتذهب إلى بيئة صالحة. لذلك كانت أول كلمة قالها العالِم لقاتل المائة: (اترك أرضك). وهذه هي الكلمة التي لا نريد أن نسمعها، كلمة ثقيلة على قلوبنا، كلمة (اترك) لكنها سبب النجاة الأول! (اترك أرضك؛ فإنها أرضُ سوء).

ثالثا: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}: الإيمان هو الذي سيغير نظرتك عن الوقت، وهو الذي سيجعلك تعرف قيمة الجنازة، الإيمان سيجعلك تتخيل منظر الجنازة وهي تتحرك كأنك أمام جبل أحد من الحسنات، الإيمان سيجعلك تتخيل مشهد المريض وأنت ذاهب لتزوره أنه جنة تمشي فيها ، الإيمان سيجعلك تتخيل الأذى الذي تزيله من الطريق كأنك تترقى في سلم الإيمان، الإيمان سيغيِّر نظرتك عن أفعالك وعن أوقاتك، الإيمان سيجعلك تغير جدول مواعيدك، فلم تعد تقول للناس: الساعة الثالثة والرابعة، بل ستعطيهم مواعيد بعد المغرب، بعد العصر، بعد الفجر. إذًا كلامك ومواعيدك ومصطلحاتك ومفاهيمك ستتغير.

هذا هو الإيمان: أن تتعامل بما يريده الله -عز وجل- كأنك تمسح طريقة التفكير القديمة وتفكر بطريقة جديدة تمامًا، طريقة ترضي الله -عز وجل-.

{الَّذِينَ آمَنُوا} وبعد أن جاء الإيمان وترسخ، انطلق في الأعمال! {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}: فتخيل مشهد شخص كان نائمًا في بيت، والبيت يحترق، أول شيء فعله أن استيقظ، هذه هي {الَّذِينَ آمَنُوا} فالاستيقاظ هو الإيمان، {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} الصالحات من الإصلاح بمعنى أنه أصلح الإفساد، أنه

أولًا: استيقظ تلك آمنوا

ثانيًا: بدأ يجري ويحاول، وانطلق في كل الأعمال الصالحات،

ثالثًا: لا بد أن يوقظ الناس.

فكما أن الله -عز وجل- منَّ عليك باليقظة؛ فأيقظ الناس وإياك أن تتركهم.

من أهم أسباب النجاة:

رابعا: أن توقِظ الناس، إياك أن تنشغل بالناس فتُكاثرهم في الدنيا -كما في سورة التكاثر-، وإياك أن تنشغل بالناس فتستهزئ بهم -كما في سورة الهمزة-، اجعل انشغالك بالناس أن تنقذهم.

سُئل ابن سيرين: ما القلب السليم؟ قال: "أنصح الناس للخلق". فصاحب القلب السليم هو مَن يحب الناس جدًّا، ويتمنى أن ينصحهم، ويتمنى أن يكون الناس كلهم على خير.

{وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ}: إذا كنت توقظ الناس فاعلم أنها مهمة صعبة؛ لذلك يقول لك الله سبحانه: اصبر، فالنجاة من الخسارة ليست سهلة. فمن حولك يريدونك أن تخسر، {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} [التغابن: ١٤]. التكاثر الذي يحيط بك في الدنيا سيفتنك! أنت من الممكن أن تكون من الذين آمنوا، ومن الممكن أن تكون من الذين عملوا الصالحات، ومن الممكن أن تكون من الذين تواصوا بالحق، لكن لا تستطيع أن تصبر، فالثلاثة سيقعون منك! فدائمًا خط البداية ملئ بالناس، لكن من يصل إلى خط النهاية في السباق قليل.

لو تحدثنا عن أهمية حفظ القرآن، وأتينا بأحد المشايخ ليقول لنا خطبة، واستشعرنا بالفعل أهمية حفظ القرآن، وسألنا: مَن الذي سيحفظ القرآن؟ من الممكن أن نجد أن المسجد بأجمعه قدَّم طلبات لحفظ

القرآن، لكن في السنة التي تليها: مَن الذي أكمل حفظ القرآن؟ تجد أنه بعد أن كان لدينا خمسة آلاف، لم يكمل منهم سوى ثلاثة أو أربعة فقط، هذا هو **الصبر: من الذي سيكمل ويستمر للنهاية؟**

فمن السهل أن تأخذ قرارًا اليوم بأنك ستحافظ على الصلوات في المسجد، وتستعين بالله، لكن مَن الذي سيصبر؟ لذلك قال الله سبحانه: {وَتَوَاصَوْا}، ولم يقل: (ووصِي).

ما معنى {وَتَوَاصَوْا}؟ أنت اليوم تِوصي أحدًا، وغدًا هناك أحد يُوصيك، {وَتَوَاصَوْا}: أي أن الناس يوصي بعضهم بعضًا، لذلك يقولون: "لا أحد أكبر من أن يُوصَى، ولا أحد أقل من أن يُوصِي".

لا أحد أكبر من أن يُوصَى؛ فليس هناك أحد كبير على النصيحة، ولا أحد أقل من أن يُوصِي؛ فلا تقلل من نفسك في أن تقدِّم النصيحة لأحد.

خامسًا: من أسباب النجاة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمَن صلى وأقام الليل وذكر الله بدون أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر خسران، ومَن لم يصلح أحوال الناس سيكون أيضًا خسران، ومَن لم ينشغل بإصلاح بيته وزوجه وأولاده وأقاربه أيضًا في خسران.

{وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} فمن الممكن أن تكون اليوم نشيطًا وغدًا تكون ضعيفًا؛ لذلك أنت تحتاج لبيئة الإيمان، اليوم أنت تعظ، من الممكن أن تحتاج إلى من يعظك غدًا. اليوم أنت تقول النصيحة، ومن الممكن أن تحتاج إلى مَن يقولها لك غدًا، اليوم أنت رأيت شخصًا غضبان فقلت له: اذكر الله، واستعذ بالله من الشيطان الرجيم، غدًا ستكون أنت غضبان وهو يقول لك: استعذ بالله من الشيطان الرجيم. فالإنسان دائمًا متقلب؛ لذلك يحتاج عند سقوطه أن يكون في بيئة إيمانية تأخذ بيده، لا أن يكون في بيئة إذا سقط سيفرح الناس بسقوطه ويقولون: أصبح مثلنا، ولن ينصحنا أحد بعد الآن أو يزعجنا! لذلك لا بد أن تكون في بيئة إيمان!

إذًا أحبتي في الله: هذه السورة القصيرة المكوّنة من ثلاث آيات أول ما تبدأ قراءتها تشعر أن الوقت قارب على الانتهاء، كأن الزمن انتهى والقيامة اقتربت، ويقسم الله بآخر لحظات الامتحان: {وَالْعَصْرِ}. ما النتيجة يا رب؟ لم ينجح أحد! {إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ} ، الكل يا رب؟ لا؛ عدد قليل من الناس نجحوا في الامتحان، مَن هم؟ الذين حافظوا على الأربعة أشياء: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}، ولم يكونوا من المتكاثرين، ولم يكونوا من الهمازين اللمازين –كما في السورة التي قبلها والسورة التي بعدها– كذلك ينجو الإنسان!

أسأل الله –عز وجل– أن ينجينا من الفتن، اللهم بارك لنا في أوقاتنا، واملأها بطاعتك يا رب العالمين، اللهم بارك لنا في أعمارنا، واملأها بطاعتك يا رب العالمين، اللهم هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما، اللهم اجعلنا لك ذكَّارين شكَّارين صوَّامين قوَّامين، عليك متوكلين، إليك منيبين أواهين مخبتين يا رب العالمين، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وبارك لنا في أعمارنا يا رب العالمين، اللهم استعملنا ولا تستبدلنا، اللهم اهدنا واهدِ بنا واجعلنا سببًا لمن اهتدى، اللهم قيِّض لهذا البلد أمر رشد يُعز فيه أهل طاعتك ويُؤمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر، اللهم حكِّم فينا كتابك، اللهم ولِّ علينا خيارانا، ولا تولِّ علينا شرارنا، اللهم اصرف عن مصر الفتن وعن سائر بلاد المسلمين يا رب العالمين، اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.